كـــاتـب وكـتـــاب

"جنـــة مجنـــون" لأســـامـــة أنـــور عكـــاشـــة

قراءة: هشام بن الشاوي

◆خبر لا يهم أحداً:

" بعد غياب طويل عن عالم الرواية يعود الكاتب الكبير أسامة أنور عكاشة إلى هوايته الأولى، برواية تصدرها دار العين بعنوان: "سُوناتا لتشرين"، كتب عكاشة في مقدمتها: "... لم أستَطع أبداً نسيان الحب الأول وظللت متشبثا بالأرض التي شهدت فجر موهبتي.. وحرصت على بقاء انتمائي الأول لأصولي الروائية والقصصية... حيث يمارس الكاتب فيها حريته الكاملة ويتسع أمام فضائها غير المحدود.. وآليت على نفسي أن أكتب رواية أو مجموعة قصصية وأقدمها للناس كل عام.. وجاءت "سوناتا لتشرين" لتكون روايةِ هذا العام.. أقدمها وأنا ارتجف انفعالاً وخجلاً متسائلاً: هل يغفر لي قرائي غِياباتي وندرة إنتاجي أو تراهم يلتمسون لي شيئاً من العذر أو سيؤجلون الحكم على ما بعد تذوق الثمرة؟".

وقد صدرت للكاتب ضمن روايات الهلال "جنة مجنون" في أبريل (نيسان) ٢٠٠٧"، كان هذا نص خبر أرسلته إلى بعض الجرائد التي أواظب على النشر فيها، لكن تبين لي لاحقا أنه خبر غير صالح للنشر، ولا يهم أحداً، ولو أن راقصة من الدرجة العاشرة تزحلقت وهي تخرج من الحمام.. لوجدت الخبر منشورا في أقل من ثانية، في كل الجرائد والمواقع الصفراء والبيضاء والحمراء.. ناهيك عن اهتمام النقاد بروايات تكاد تكون مستنسخة، جلّها تتمحور حول الغرائز السفلى والعقد النفسية المترسبة في أعماق كتابها وقرائها، وعلائقهم المتوترة مع أعضائهم الحميمية..!!

◆حلم الفجر:

تبدأ رواية "جنة مجنون" بتوصل السارد- مجهول الاسم- بسلة زهور ورسالة قصيرة من صديق الطفولة "عاطف درويش".. " كيف يمكن للإنسان أن ينسى الطفل الأول ذلك الذي عذبه وأرقه وأشقاه؟"، وقد كان صديقه قد حرم- مثله- من حنان الأمومة وفجع برحيل الأم في سنواته الأولى، وربما هنا يكتب أسامة أنور عكاشة عن ذلك الطفل يتيم الأم الذي كان.. فكان وصفه صادقا لمعاناته النفسية، و نظرات الآخرين إلى هذا الطفل الذي " لا يأنس للأغراب ولا يستسلم لملاطفات الأقارب".

في حجرة المخزن المخصص للأشياء المستغنى عنها، والتي ستصير عالمه الخاص، سيجد أشياء أبعدت عن الأنظار حتى لا تثير ذكريات ولا تجدد أحزانا،وألعابا قديمة وكتبا ومجلات..

عاطف رحلت أمه بعد طلاقها،وعاش مع جدته.. وصارت حجرة المخزن عالما موازيا " تتكون مفرداته من الأحلام ومن تمنيات لا يحققها الواقع "(ص٨)، ويبدأن في تشخيص وارتجال أية شخصية علقت بالخيال.. كنوع من التعويض عن الإحساس بالنقص، أو ما يعرف بالإعلاء والتصعيد.

وليس من التعسف أن نقحم بعض المفردات الفرويدية، لأن "جنة مجنون" رواية سرد نفسي بامتياز، رواية سرد البوح والاعتراف، لكن لغتها تجنح إلى الشعر، وتحس أن في أعماق الأستاذ أسامة أنور عكاشة شاعرا مجهضا، وهذا ما يسميه النقاد بـ "شعرنة السرد"، كما يتجلى بوضوح حين وصف الكاتب اختفاء عاطف المفاجئ بسبب موت جدته، وانتقاله إلى بورسعيد ليكفله أبوه: " انقطع ذلك الخيط الحريري الذي جمع بين اليتيمين وانفصمت عرى صداقة صنعتها الأحزان المتساندة في بكور الفجر".

وبعد ثلاثين عاما...

ستبدأ رحلة أخرى، وبرغم أني اطلعت على الرواية في صيف السنة الماضية، وجدتني أعيد قراءتها بنفس دهشة القراءة البكر، ويخيل إلى قارئها أن كل فصل (قصة قصيرة) مستقلة بذاتها، لكن الفصول/ القصص مترابطة،و تُقرأ دفعة واحدة... وهنا تتجلى براعة أسامة أنور عكاشة- مثلما في أعماله الدرامية- الذي يعرف كيف يشدّ المتتبع لأعماله من تلابيبه حتى آخر رمق.

◆وادي القمر الأخضر:

تلقى الراوي مكالمة هاتفية من عاطف معتذراً عن تقاعسه عن عدم السؤال، وصمم على إرسال سيارة لاصطحابه.. وفوجئ بأنها أشبه بسيارات أفلام سينما هوليود.. رفض في البداية، لكنه أذعن لعله يجد إجابات عن الأسئلة التي تحيره، ومعرفة سبب إصرار عاطف درويش على دعوته.. وفي الطريق،تساءل عن سر تسمية المزرعة بوادي القمر الأخضر، وعلاقتها برواية "الأفق الضائع" لجيمس هيلتون.

◆رجل خلف الأسوار:

غرق في تفاصيل غداء فاخر، وتساءل بينه وبين نفسه- ولأن الرواية نفسية يغلب عليها الحوار الداخلي والخواطر- عن أسباب هذا الثراء المفاجئ وعلاقته بتجارة أبيه، لكن بسؤاله نكأ جرح الطفل الذي لم يعرف غير الجدة أما ولا أبا.. و الأب عامله بفظاظة (بغض النظر عن نفور الطفل منه)، لأنه لم يستطع أن ينجب من بعده، وبرغم إثبات التحاليل الطبية أن عاطف من صلبه بقي يعامله بقسوة.. وخلق بينهما حاجزاً نفسيا، و كنوع من التعويض عن رجولته الضائعة شيد امبراطوريته بكل الأساليب، وبقي عاطف بعيدا عن أعمامه المنفردين بالسلطة وتدبير الأمور، ولأنه الوريث الذي سيحرمهم من التركة، استندوا إلى شك الأب القديم وطعنوا في النسب، لكنهم خسروا القضية، وحين حاول أن يطهر الثروة، اعتقدوا أنه يبعثرها ويتصرف بحمق، لجأوا إلى الحجر عليه والزج به في مستشفى الأمراض العقلية.

◆غسق الذئاب:

أدرك محامي عاطف درويش أن موكله ليست به "جنة أو حتى طائف من جنوح" وآمن بحتمية الانتصار الأخير، برغم مشقة الرحلة، ونصحه بالصبر والتشبث بالإيمان، واعترف عاطف بأن المحامي هو " الصانع الحقيقي لأيامه الحالية"، الحلم بجنة درويش في قلب الصحراء الذي ولد بين جدران المصحة العقلية هروبا من واقعها المقيت المدمر للأعصاب.. وفي المصحة سيتعرف على أستاذ الأدب والنقد الدكتور محمد المعتصم عبدالله.

◆زيارة ليلية:

ارتجفت نبرات صوت عاطف وهو يتحدث عن ذات العيون البنفسجية.. نجاة، الشقيقة الصغرى لرفيق الليل والمحنة والعنبر، الذي تم الزج به في العنبر ظلما وعدوانا... ومات منتحرا بملاءة السرير.

◆النهار الغائم:

في هذا الفصل يكتب عكاشة عن التخاطر وتواصل الراوي وعاطف درويش في اليقظة والنوم.. كل تلك الوجوه وتفاصيل الأحداث تزوره في نومه الذي أحسه كأنه نام نوم عاطف، فاحتلت كوابيس عاطف وأحلامه عقله الباطن، وبقي مشغول البال بم حلم عاطف ليلتها؟

سؤال بلا جواب، لأنه فوجئ بسفره إلى الإسكندرية(هذه المدينة الحاضرة- الغائبة التي يهيم بها أسامة أنور عكاشة عشقاً)، فأحس بالغضب، الإهانة، ورحل... وفي أعماقه يتساءل عن وجود أية علاقة بين رداءة أحوال الطقس وتعكر أمزجة البشر..

وتجمد في مكانه حين عرف من السائق بعد مغادرته أن عاطفاً لم يسافر إلى الإسكندرية، وأنها كذبة من أكاذيب كبير الخدم الثرثار.

اسامة انور عكاشة

◆المرايا المكسورة:

أحس بالأرق في فراشه برغم إلفته، فكر في اختفاء عاطف المفاجئ، وتناقض كلام السائق و الخادم الذي أسلمه لخواطر مسهدة.. ونام يومين متتابعين، حاول أن يوهم نفسه بأنه لا يتذكر تاريخ ذهابه إلى المزرعة، لكن لوائح الاتصال وتواريخها مسجلة على الهاتف.. واقتنع انه استسلم لما يشبه الغيبوبة، ولم يحس بالجوع ولا بالعطش ولا انتبه لرنين الهاتف.. عشر على رقم غريب اتصل به عشرات المرات، جرب الاتصال به، فكان رقم نجاة...

اتصلت به بصفتها زوجة عاطف وتريد مقابلته لأمر مستعجل.. وفي الملتقى، أقبلت عليه برفقة رجل عرف منها أنه شقيقها محمد المعتصم، فأخرسته المفاجأة..

وأبلغته أنها تعرف حكايا عاطف، وأنه في كل مرة يغير لون عينيها، وأخبره الدكتور محمد أنه كان في المصحة العقلية مشرفا على عنبر الحالات الخاصة، الحالات الموصى عليها.. و أن قضية عاطف درويش لم يحسمها سوى عمه الذي اختلف مع أشقائه، فهدم المعبد على رؤوس الجميع.

وهنا تتناسل أسئلة شتى في دواخلنا على رأسها: لماذا اخترع عاطف درويش قصة اضطهاد الدكتور محمد وانتحاره؟

◆بيت الخان:

سأل الراوي نجاة لم تقيم بعيدا عن عاطف وهي زوجته؟ فأجابته لأنها تحبه.. ودعته للبحث عن إجابات لأسئلته، فثارت ثائرته، واعتبر نفسه قد وقع ضحية مجموعة تمارس نوعا من الألاعيب الفراغ، ورد عليه الدكتور محمد بأن نجاة طلبت مقابلته وجاء معها بتوجيه من عاطف، الذي يلعب كما قدر (الراوي)، ويشركهما- أحيانا- في ألعابه، لكنهما لا ينفذان إلا إذا أحسا أن ما يهدف إليه لن يمس أحدا بضرر..وعرف منه أنه يعاني نمطاً نادراً لم يتم تصنيفه ضمن مجموعات العصاب أو الذهان...إذ لا يشكو أعراض الأمراض، لكنه يصنع "نوبة الصرع" ويتحكم فيها وهو ما ينافي ما يعرف عن المرض، وكذلك تعلقه الهستيري بالتقمص.. من خلال ألعابه التي يفرض عليهما أن يلعباها معه، مثل شخصية عاطف درويش صاحب الجنة الرابضة في حضن الصحراء، لكنه يتقمص شخصيات أخرى..

وأعطته نجاة ورقة كتب عليها: "خان الطواشية.. بيت درويش للفنون"، وفي ذلك المكان الأثري كان يجلس عاطف على السلم الرخامي في تقمصه الجديد.

◆ندوب الزمن:

استقبله عاطف بعناق حميمي حار استلم له، دعاه للتجول في بيته ذي المعمار الهندي- المغولي، ودعاه لاحتساء عصير فواكه من اختراعه.. وضايقه كلام عاطف إنه يسكن البيت منذ عهد الظاهر بيبرس، فتصنع البلاهة والحيرة، وقهقهة عاطف، ورد عليه:

كدت أصدقك!

وغضب عاطف حين واجهه بأن "مسّا ألم به في المستشفى، وتخيل أنه عاش في البيت منذ عهد السلطان بيبرس". واعترف عاطف بأنه أجريت له عملية جراحية لاستئصال ورم خبيث في المخ، وروى له حكايات وصل فيها خبله " إلى مفاصل مذهلة".. أنه عاش في زمان قديم ومكان آخر.. من حكاية البراهمة إلى التاجر الوافد من بر الشام الذي عاش في البيت الأثري الذي شهد نزاعا بين فرسان المماليك، وأحرقوا المكان وعذبوه..

الملاحظ في هذا الفصل أن عكاشة استخدم كلمات من التحليل النفسي، يبدو فيها بعض اللبس للقارئ الذي تعود على الحكاية المحفوظية، عكس نجيب محفوظ وروايته "السراب".

◆اليقين:

بدأ الراوي يفكر في أن النائم هو تاجر الحرير.. ونام في غرفة نوم متصلة بالحديقة والنافورة، استغرقته تفاصيلها، وسأل الخادم ذي الثياب الشرقية هندية الطابع لا سيما القبعة.. عن عاطف فكان جوابه أن أخباره لا يعرفها إلا السكرتارية، واستغرب لهذا البرتوكول المغلف بعبق التاريخ والأجواء الرومانسية، وخدم بأزياء خاصة بالليل وأخرى بالنهار..

تعرف إلى هالة رئيسة السكرتارية الخاصة بعاطف بك صاحب مؤسسة درويش لرعاية الفنون، بيت الطواشية.. وتجول بورشة تدرب الصبية والشباب على الصناعات الحرفية اليدوية بالغة الدقة (وهذه الفكرة سبق أن تطرق إليها الكاتب في روايته التلفزيونية أرابيسك)، ووصلته دعوة من أحد الخدم للغداء مع عاطف، فتساءل بأي وجه سيقابله هذه المرة...

لكنه وجد مفاجأة مطابقة لما حدث في مزرعة درويش.

◆غفوة السندباد:

لقد اختفى عاطف مرة أخرى، وأحس بالمهانة، وطلب ورقة ليكتب رسالة لمضيفه.. وطلبت منه هالة أن يترك رسالة شفوية..

تعرف على الأصلع ذي الشعر المتهدل على كتفيه والشارب التتري الذي يغطي جانبي فمه.. مصور تشكيلي طاف عدة بلدان أوربية مصطحبا لوحاته... وعرف من أهالي البيت أنه يدخل حياة أصدقائه بالطريقة ذاتها...

وفوق سطح البيت الذي لا يجاوره غير مسجد السلطان حسن، جلس والرسام مع "شاهبور" وهو يعد شايا إيراني النكهة.. هذا الأذربيجاني الذي بلغ عقده الثامن، لكن الناظر إليه يقسم أنه لم يتجاوز الأربعين... كباقي أهالي أذربيجان الإيرانية " كلهم معمرون مخادعون لا يفشي مظهرهم حقيقة أعمارهم"(ص٨٧). وعرج حديثهم عن السياسة، حيث هرب شاهبور من مذابح الانقلاب، وتشرد في أوربا، ومن إسبانيا هرب إلى المغرب ليقوم برحلة المتصوفة المغاربة القدامى شرقا إلى مكة واستقر بمصر.. وضحك قائلا أنه شيوعي شيعي في بلد السنة، ومازحه الراوي ":أنت لا تكف عن ذكر أنك شيوعي!.. فهل بقي هناك شيوعي يا عم شهبور؟.."، ختم العجوز نقاشهما جازما بموت الفلسفة وسقوط كل الإيديولوجيات وموت الإنسان:" لا تحدثني عن الأفكار.. سئمت الأفكار والمفكرين.. لقد أتيتما لتشربا الشاي لا لتصدعا رأسي.. وإذا أردتما البقاء فلنتحدث عن النساء والشعر والموسيقى..." (ص٨٨).

وانطلق شيطان عربيد من داخله يصدح بلحن أوزبكي...

فكر الراوي في هالة والحضور الأنثوي اللافح،و سأل الرسام عن مقابلة عاطف، فرمقه بنظرة رثاء، طالبا منه انتظار "حلوله الجديد".

◆في بطن الحوت:

صار يشك في الشراب الذي يقدم له بأنه مسكر، وحدث نفسه أنه "هناك" وليس "هنا".. بين زمانين، وعليه أن يستسلم لسلطان غفوته، ولم يرَ غير الرسام والعجوز الإيراني، وغرق في غفوة، وتراءت له جنة، ورأى فيما يرى النائم أنه في قلعة الموت..

صباحا، أيقظته هالة، وأعلمته بأنها ستأخذه إلى المطار ليسافران إليه، وغضب لتلاعبهم به، وأخبرها أن أهم ما في الموضوع نسوه وهو جواز سفره.. فأخرجت من حقيبتها جواز سفر بديل.. وصمم على عدم السفر، فكان جوابها بأن لا أحد يرغمه على السفر، لكن "عاطف يظن أنه لا بد أن يرى تحققه الأخير في الجنة التي حلما بها سوية في زمن الطفولة!".

◆شروخ المرآة:

اختتم أسامة انور عكاشة روايته بالفصل الثالث عشر، الطريف في الأمر أن الكثيرين يتشاءمون من الرقم ١٣ حتى أن الكاتب إحسان عبد القدوس كان كلما بلغ هذا الرقم، دعا أحد الحاضرين ليكتبه بدلا عنه..

في الطائرة يغفو السارد بعد احتساء جرعتين من الشراب الذي قدم إليه، ولم يستيقظ في مقعد الطائرة ولا في السيارة التي أقلته.. إلا في غرفة في " نزل فخر الدين الكبير" في ضيافة ضيعة عاطف بك درويش.. في ضيافة النسخة اللبنانية من صديق الطفولة، واختفت هالة وحلت محلها هيفاء.. وروى له باقتضاب حكاية يارا.. "الجنون كلمة يا صديقي.. كلمة لا أكثر.. تنطقها فتدمر عالمك بأكمله!".(ص١٠٤)، وعلم منه أن سبب مجيئه هو جنونه القديم بروايتين شغفا بهما معا في بكورة الصبا: "نداء المجهول" لمحمود تيمور، و"غادة حامانا" لطاهر لاشين.. تبادلا حوارا صامتا.. تخاطرا عن البقاء، وغضب عاطف حين طلب منه أن يقتسما التحقق..

ووجد نفسه في طائرة تقله لوحده، وأتته المضيفة بأوراق ليوقع عليها.. وذهل برؤية اسم عاطف درويش تحت صورته.. كيف فعلها؟ كيف طمس اسمه الحقيقي من ذاكرته وأوراقه الرسمية حتى صار رجلا بلا اسم ولا هوية ولا وطن..؟

ثمة قراءة مفادها بأن عاطفا لم يكن سوى السارد، ربما لأن الكاتب لم يحدد اسم الراوي طوال فصول هذه الرواية المرآوية والتي برغم قصرها يصعب اختزال تفاصيلها الصغرى، وتلخيص أحداثها.. ولو تبنينا هذا الطرح، فسننسف الرواية بأكملها، ونحولها إلى مجرد حكاية من حكايات ما قبل النوم.. لا سيما وأن الإبداع الحقيقي ضد الرؤية/ القراءة الأحادية.

وتنتهي الرواية- ولازلنا متأكدين بسلامة قواه العقلية- بمشهد إصرار البطل على إثبات ذاته وإعلان الحقيقة وهو يضرب بآنية معدنية قضبان العنبر، ويصم آذانهم حتى يسمعوا.... نهاية عبقرية لا يكتبها كاتب إلا الكاتب الكبير أسامة أنور عكاشة... تذكرنا بنفس المصير المأساوي لبطل رائعته التلفزيونية (أبو العلا البشري) الذي آمن بفكرة الفروسية النبيلة في زمن التشيئ والاستلاب والاندحار الحضاري الشامل. والجدير بالذكر أن أسامة أنور عكاشة لا يستسيغ النهايات السعيدة المفبركة التي تستخف بعقول المتلقين قراء ومشاهدين...

على الهامش:

تحضرني-الآن- نهاية أحد المسلسلات المزبلجة (الزبل + الدبلجة).. فبعد ألف حلقة وحلقة انتهى المسلسل بمشهد البطلين عاريين على فراش النوم.. وقد نجحوا فعلا في خلق أجيال عربية مهجنة لا تعشق ولا تفكر إلا... بأعضائها التناسلية!.

الشاعر والروائي الكردي سليم بركات.. وكمال الغيبوبة

لقمان محمود

نارين لاهث. دفلى في النبيذ المسموم. نهايات مريبت في بشارة اللوز. عسل داوود. دم الأخوين طيباً تنفسه القدور. قشاء الحمار... حشيشة العقرب النابتة في مقابر الفرقى. عنب الثعلب والكراويا. الماعيران الشبق. أسد العدس. الجنطيان الجبلي المختمر في هواء السهول. الخشخاش الرزين. الورس مجففا تحت سقوف الزرائب. القلقاص- طمث بساتين الحمقى. الصعتر حالماً. خصى الثعلب ذوات الورقات المهرجة. الراسن الأصيل الحريف. السرخس البهلول. شوكة القبط وشوكة يهوذا. بصل الفأر المرشد إلى باهِ عاقل". ص ٤٠- ٤١

هذا المثال البسيط يؤكد أن المجموعة لا تقبل المعاجم، ولا تعترف بالمعرفة وأنها تستنفر كل مخزوننا الثقافي والمعرفي دون طائل. لأن سليم بركات يكتب الشعر في سياق الرواية، ويكتب الرواية في سياق الشعر، فنادراً ما تنمحي الحدود بين هذين الجنسين الأدبيين عند الكاتب، فالسياق اللغوي واحد والخيال واحد. فإذا ما إقتطعنا أي صفحة من أي رواية لهذا الكاتب وقارنّاها مع هذه المجموعة الشعرية " المعجم" ربما لن يكون هناك سوى إختلاف معنوي، يقول سليم بركات في روايته " الأختام والسديم": منذ بزوغ النور المنضج للخمائر في قدره، بزغ الإمتحان. أضيئت الخلائق المستولدة من كمال غيبوبتها في البرهة التي قدرت المشيئة لها أن تكون إمتحاناً". ص ١٣

يقول بركات في المعجم: "إنها المسألة مستعصية على البهاء، مستعصية سلطانة النور على الظلال المدربة على فصاحتها". ص ٥٣

إذاً هناك لغة يستعرضها الشاعر بإستبدال التكرار الى ما لا نهاية بلغة مثقلة بالعنف السردي، يحاول سليم بركات منذ أعماله الأخيرة إنزالها من عليائها الحقيقي الى حتمية الخيال فتجريب الإحتمالات على هذه المجموعة الشعرية، يعني أعطاء فكرة عن جدلية الخير والشر، حيث المجموعة بأكملها تدور حول محور وحيد، وهو الشر، يخاطب الشاعر الشر:

" جاورني، جاور الجلال الأعمى يتلمس بعصا النسيان كنوزه المنتثرة في دهليز الجوهر لذائذ الشكل الأثير بلا نهاية. قشر الكواكب هناك في النهاية المقشرة بمدية الفراغ الطاهي، وقس الوسائط الكلية بأشبار النسخ تحت بصر الشهود وهم يقسمون البسيط غيباً بعبور جيادهم الجريحة من خنادق الفردوس الدموي إلى الأبد الدموي". ص ٤٢

في كل مراحل هذه القصيدة نتابع سيرة الخير والشر، والشيء المثير للدهشة أن سليم بركات يختار الشر، يختاره لا بالغريزة وإنما عن دراية، لأنه لا ينسى الطغيان والقوة للدول المستعمرة لكردستان، حيث بقيت أحلام الإنسان الكردي ضعيفة وخيرة ومكتومة. يقول سليم بركات: ناده أيها الشر، نادِ الخير مِن النهاية التي بلا إرث قَبل، بلا إرث بعد. ص٥

أقم معي ايهًا الشر، في الهَدير الماجن للرئات تتشقق من خيانة الخير. ص ٢١

عريقٌ أيها الشر جهرك بمراتب الخير منقولة عن النِدم. ص٢٧

تعالَ أيها الشر ندرّب الفجر على دسائس النقاء الفاجر.ص٣٨

شردهم أيها الشر. شرّد جيران الكتاب المهمل على رف الشفق الثالث، شرد الشفق. ص ٦١

دلّهم أيها الشر على نُصبك كي – يحسنوا قياس الحجر بحقائقه. ص٦٥

أيها الشر. رتب المدن الخبز قطّعه شرائح في سلال الخبز. ص ٦٧

ساعة دخول الخير عليك متوسلاً أن يريك النقش المفقود. أرِه النقش المفقود أيها الشر. ص٧٠

فالخير مصدره الإنسان، والشر ايضاً مصدره الإنسان، وإستمرار هذه الثنائية إلى يومنا هذا، هي التي فصلت بين الله والشيطان، بين الله والإنسان، وبين الأمة الكردية وكردستان. إنها حكمة القوة لشاعرٍ كردي ما زال يقفز بقوة على المستحيل والخارق، بلغة متوثبة بعافية الشعر.

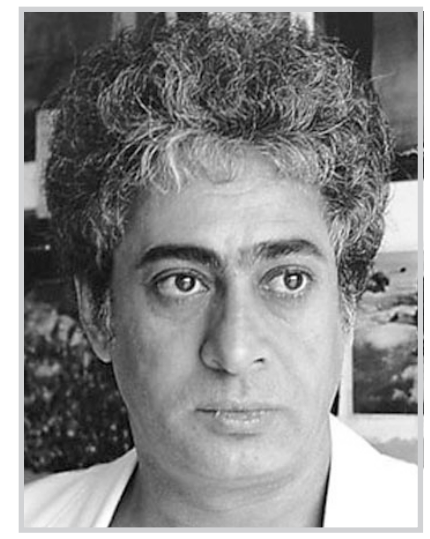
سليم بركات

لعل من أهم الصعوبات التي تواجه قارىء سليم بركات، هي الرموز والإستعارات والإنزياحات اللغوية. ولعل " المعجم" هذه القصيدة الملحمية الطويلة هي من اصعب أعماله، لأنها رغبة سليم بركات في إكتشاف اللغة، بإعتبارها طاقته الإبداعية من مستوى الضرورة إلى مستوى الحرية. و"المعجم" لا يمكن أن تكون إلا صورةً لنفسها فقط، بسبب تجاوز اللغة لوسيلتها، ومهما حاول القارىء ستظل هذه اللغة منغلقة لكل إحتمالات المعرفة، وقارىء هذه المجموعة سيبقى مندهشاً ليس من اللغة فقط، بل أيضا من اسماء النباتات والطيور والحيوانات التي يصعب حصرها، والتي حقا بحاجة الى معاجم لتأويلها، يقول سليم بركات:" حروب نقية، حمص نقي، خباز لسان يستنطق ملح الدباغين. حصرم مستنطق. جيوش زيت معتصر من زيتون المنحدرات الشريدة، ورق

اعمال رامبو الكاملة .. الترجمة واكتشاف المجهولات

علي حسن الفواز

يتوهم كثيرا من يقول ان الترجمة خيانة، أو انها خطيئة تعمد الى العبث بسرانية جسد آخر لايخصنا، تعبث بقانونه الصوتي وقانونه الاستعاري. لكن لنتصور قليلا عالما من دون ترجمات ومن دون مترجمين او من دون مكتبات تظللنا بسقوف المعارف الكونية، فهل كنا سنعرف سقراط وارسطووافلاطون وشكسبير وجيمس جويس وفوكنر واليوت وطاغور وآنا اخماتوفا وعزرا باوند وفوكو ودريدا وبارت ومالارميه وفولتير وبودلير وآرثر رامبو ودريدا وهابرماز وغيرهم.

الترجمة ازاء كل ذلك جعلت هؤلاء يخصوننا، اذ يمكننا مشاطرتهم اسرار وجودهم وكتاباتهم ونظامهم المعرفي وانزياحاتهم التي تشطح باللغة والجسد والامكنة..

هذه التوطئة افترضها ضرورية وانا اكرر قراءة اوراق الترجمة الكاملة لاعمال رامبو الشعرية التي قدمها الشاعر والمترجم كاظم جهاد فهذه الترجمة تعكس وعيا بحثيا منهجيا يؤسس مشروعه على اساس اعادة انتاج ظاهرة رامبو الشعرية في سياق ثقافي متكامل، بالاتجاه الذي يجعل هذه الترجمة متميزة عن غيرها، اذ هي تتعاطى مع التفاصيل الدقيقة الخفية والمهملة احيانا في حياة رامبو وشعريته.

سعي كاظم جهاد الى قراءة رامبو الصاخب والنافر وتقديمه كأثر شعري وثقافي واسع، وليس كظاهرة كرستها البعض من(الاشاعات الشعرية) ينطلق من احساسه الشعري اساسا بان رامبو وقع تحت تهويمات هذه الاشاعة والاستعراض كثيرا، وان ظاهرته بحاجة الى نمط اخر من القراءة، تلك التي تقدمه الى قارىء يعرف اشياء عامة عن رامبو، لكنه لايضعه في الصورة المتكاملة. فرامبو صاحب (المركب السكران)هو المنحرف والمهووس والسكير والضال والتمرد على اغواء الامكنة، وهذه الصورة هي الراسخة والمكررة في الكثير من الثقافات الشعبية والرسمية التي تحولت الى استعارة عمومية صالحة للتداول. ولعل الكثيرين لم يعرفوا عن رامبوغير هذا العمومي، لكن ظاهرته تستبطن مظاهر وتجليات اخرى، فهو القريب من هواجس الروح الثورية الرومانسية التي انحنت على ظواهر التحولات السياسية في القرن التاسع عشر، وهو الشاعر القريب من احلام (الكومونيين)في باريس، اذ يعد البعض ان انهياره الوجداني وتحوله السلوكي، وربما صمته المريع فيما بعد كان بسبب انهيار مثله في رومانسية الثورة وقيم العدالة والحرية، تلك التي انهارت بعد انهيار ثورة الكومونة..

وهنا اجد تأكيدا واضحا لما رآه البعض من ان هذه الترجمة تمثل محاولة عميقة في السعي الى اكتمال ترجمة مشروع رامبو الشعري، اذ يبدو هذا التأكيد برغم رومانسيته، فانه يعكس اهمية وفاعلية هذه الترجمة وخصوصيتها في التعاطي مع ظاهرة رامبو الشعرية والانسانية وطبائع تمرداته الصاخبة، تلك التي عكست تمرد الشعرية ذاتها على تاريخها ونمطها وقلقها. فضلا عن ان هذه الترجمة عمدت الى التعاطي مع حياة رامبو ذاتها باعتبارها جزءا من ظاهرته الشعرية، تلك التي لم يتم الكشف عن الكثير منها والتي كانت تمر بالكثير من الغموض والاسرار التي جعلته ينأى عن الكتابة فجأة ويذهب بعيدا باتجاه مجاهل افريقيا بحثا عن كنوز ضائعة او(برغماتيات واستكشافات) لم يعرفها سوى ما كان يسمع من تجار العاج والاسلحة. واعتقد ان التعاطي مع هذه الموضوعة في سياق انتاج (متحف)ترجمي تعريفي لرامبو تحتاج ايضا الى المزيد من القراءة والتقصي والبحث في الأثر الذي تركه رامبو في المدن التي وصل اليها..

هذه الترجمة الواسعة والعميقة تؤكد وعي الشاعر المترجم في ضرورات التعاطي العلمي مع المنهجة الترجمية بوصفها جزءا من صناعة الوعي بالظواهر مثلما هي ضرورية في اعادة انتاج مفهوم التراكم المعرفي وردم الفجوات الثقافية في قراءة تاريخ التحولات الشعرية، فالحديث عن استباقية رامبو في وعيه الحاد والجريء والعارف وانطلاقته المدهشة في كتابة قصيدة النثر لم تأت من فراغ، اذ يحتاج هذا الوصف الى قراءة العوامل والمؤثرات الفنية التي صنعت هذه الومضات التي تحولت الى(اشراقات)، فضلا عن العوامل الفكرية السرية التي اسهمت في تشكيل وعيه المتمرد الساخط الاحتجاجي واللذوي، وهذا بلاشك يحتاج ايضا الى تشريحات نفسية تؤكد علائقية شخصيته المنتجة الواعية بشخصيته النزقة المطرودة الهاربة واللاواعية..

لقد اعطت ترجمة كاظم جهاد للآثار الرامبوية روحا جديدة، عبرت عن امكانية التوافر على ترجمات اخرى لشعراء أثروا في صناعة(العقل الشعر)الكوني،مثلما تجاوزت عقدة الترجمات الكاملة التي لم يقف عندها الكثيرون بدءا من خليل خوري الذي قرأناه صغارا وانتهاءً بترجمات هنا وهناك لشوقي ابي شقرا ولبول شاؤول وغيرهم والتي كانت تلقي بنا الى فضاءات رامبو الموحشة.

ولعل مقدمته المتميزة بوعيها النقدي التحليلي تعطي لهذا الكتاب عمقا تعريفيا منظما يعكس جدية مشروعه وتوافره على مكونات تقديم هذا المشروع الاكاديمي الاصل ليكون فضاء ثقافيا مفتوحا على استغراقات الثقافة الشعرية الفرنسية في ادق حلقاتها توهجا وسرانية وفي عمق خطابها اللغوي الرمزي والروحي،مثلما يعكس تمكنه ايضا من ادواته ومن درسه العلمي ومنهجيته في البحث،ليس لتسليط الضوء على ماهو غامض في حياة رامبو الشعرية والنفسية ورحلاته الغامضة،بقدر ماهو سعي موضوعي لاجتراح سياقات فاعلة تؤكد صرامة الشرط الاكاديمي مقابل استحضار الشرط الجمالي الباعث على الغواية واللذة والاستشراف التعريفي للترجمة، باعتبارها علما وفنا في آن واحد،والتي تؤكد حيوية المترجم والاكاديمي العراقي وقدرته على الحضور الفاعل في المحافل الدولية والعربية، مثلما هي قدرته المتميزة على امكانية التوغل في المساحات الشعرية الخاصة الغامضة والمدهشة.

صدر حديثا

الصمت يتكلم بشفافية

عن منشورات ؟أكت. سود؟ في باريس صدرت الترجمة الفرنسية لرواية الكاتبة اليابانية يوكو أوغاوا ؟مسيرة مينا؟. تقدم يوكو أوغاوا، الروائية اليابانية (مواليد عام ١٩٦٢)، رواية كبيرة ذات أحاسيس تتوزع ما بين المحسوسية والحميمية.

في البيت المسكون

صدرت للقاصة والروائية العراقية هدية حسين مجموعة قصصية جديدة بعنوان .....في البيت المسكون.....، وذلك عن دار فضاءات للنشر والتوزيع في الأردن، وتضم المجموعة خمساً وعشرين قصة قصيرة.

مصر نابليون

يتناول المؤلف، جون كول في هذا الكتاب قصة غزو نابليون لمصر عام ١٧٩٨، موضحا الأسباب التي حدت بالجنرال الشاب إلي قيادة البعثة الموجهة لمصر، وموضحا سحر نابليون وولعه بالشرق، كما يغوص في أعماق جيشه الجبار وحاشيته،